.....

محاضرة

الصِّلة بين الشَّريعة والأدب

لمعالي الشّيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالى

مساء الأربعاء ، العشرين من شهر شعبان لعام ١٤٤٦هـ

اعتنىٰ بها

سالم بن محمَّد عبد الملك

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

معالي الشَّيخ صالح آل الشيخ، أصحاب الفضيلة والسعادة، أيُّها الإخوة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

وشكرًا لتشريفكم في هذه الليلة في مجلس الوالد يرحمه الله، ونحن سعيدون اليوم بأن يكون افتتاحنا بالنَّدوات والمحاضرات والفعاليات أن تكون معك معالي الشَّيخ، وأسعدُ بحديثك.

الشَّيخ سيحدِّثنا عن موضوع حول علوم الشَّريعة والأدب، فنحن سنستمع ونستمتع إلىٰ خليط من الشَّريعة والأدب، فتفضل مشكورًا،

معالي الشيخ صالح آل الشيخ: حفظك الله.

بسم الله الرَّحمن الرحيم،

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

اللَّهُمَّ اغفر وارحم، وارفع درجة شيخنا وأستاذنا الشَّيخ عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس رحمةً واسعة، واجعل مأواه مع الَّذين أنعمتَ عليهم من النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين، وبارك في ذرِّيّته البررة الَّذين اجتمعوا علىٰ البر به والإحسان إليه.

الكرام: عبد العزيز، وإدريس، وسعد، وسامي، وزياد، بارك الله في الجميع ونفع بهم.

وسرَّنا كثيرًا التَّعاون المُثمر بينهم الَّذي أنتج المركز الثَّقافي للشَّيخ عبد الله بن إدريس، وأنتج هذا الصَّالون الثَّقافي للشَّيخ عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ رحمة واسعة.

الشَّيخ والأستاذ عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس، معرفتي به كانت مبكِّرة جدًّا من الصِّغر، لأنِّي كنتُ أراه في مجالس العلماء، ومجلس الوالد والعم، وفي اجتماعات مؤسَّسة الدَّعوة الصَّحفية وغيرها. ولحرصي علىٰ العلم والأدب واللُّغة كنتُ أقترب منه كثيرًا، وأحتفي به كثيرًا وهو أهلٌ لذلك، وأصحبه أطول مدَّة إلىٰ سيَّارته إلىٰ أن يغادر.

وكنت أجلُّه ولا زلتُ، وكان يمنحني الكثير من التَّشجيع، والكثير من اللُّطف، والكثير من اللَّفتة الَّتي تعطي النَّاشئ والشَّاب دفعةً للمُضيّ في العلم وفنونه.

وهو كان يجمع ما بين علوم الشَّريعة، حيث درسها وتخرَّج من الشَّريعة، وعلوم الأدب، حيث

تخصَّص فيها، وتداول في مناصب عدَّة في الثَّقافة والفُنون والأدب إلىٰ آخر ذلك.

كان من اللِّقاءات التي أكرمني فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ لقاء في اثنينيَّة أستاذنا المربِّي الشيخ عثمان الصَّالح، كان عنده مجلس شهري وأحيانًا أقل من ذلك، فدعاني مرَّةً بعد تعييني وزيرًا للشُّؤون الإسلاميَّة والأوقاف والدَّعوة والإرشاد، ولم يحدِّد لي الموضوع، فاخترت موضوعًا بعنوان «الصِّلة بين الشَّريعة والأدب، وعلماء الشَّريعة والأدباء».

وكان أستاذنا الرَّاحل الشَّيخ عبد الله بن إدريس حاضرًا، أكرمني بالحضور جدًّا، ولمَّا أنهيت الإلقاء، علّق بتعليقٍ لازلت أشعر بحلاوته وبرودته وأُنسه، حيث دعا لي بدعواتٍ من صميم القلب بصوت مرتفع، فيها الخير الكثير الَّذي يؤنس المرء في مسيرته.

وهذا أعتقد أنَّه درسٌ لحياة كلِّ ناشئٍ ومبتدئ، في أن تكون صِلته بالكبار الَّذين أثْرَوا وأثَّرُوا قبله وعملوا، أن تكون صلته بهم تشمل الإجلال والاحترام والاستفادة والقُرْب، ومعرفة فضلهم كلٌّ في مجاله. ومن طوىٰ صفحة بعضٍ دون بعض، فإنَّه لن يحصُل علىٰ الكثير، لأنَّه لابدَّ أن تأخذ من المدارس الَّتي تراها بجميعها، ثم تنتقي ما تحبُّ أن تنتقي منها.

وهذا جعلني في تلك الفترة في صلاتٍ كثيرة مع الأدباء والشُّعراء والعلماء، سواء في المملكة العربيَّة السُّعودية أو في مصر أو في غيرهما.

الصِّلة بين الشَّريعة والأدب، أو علوم الشَّريعة والأدب، أو علوم القرآن والسُّنَّة والأدب، صلةٌ وثيقة جدًّا. والعرب في الجاهليَّة أهل لغة، يتفاخرون بها، ويتداولونها في جميع ضُروبها من شعرٍ ونثرٍ وخطابةٍ وأمثالٍ إلىٰ آخره. وكانت هذه المعلومات الَّتي يتداولونها بينهم ويفتخرون بها، ويُلقونها في المحافل، كانت أكثرَ ما يُلقونها في المآدب؛ في الدَّعوات.

والعرب تقول: "أدَبَ الرَّجلُ يأدِب" من باب ضرَب يضرِب؛ أي: دعا إلىٰ مائدة، والمأدبة الداعي لها آدِب، وما يكون فيها أدب، والمأدُبة للأكل، وهي للكرم والضِّيافة. فكان النَّاس يدعون الكبار، يدعون النَّاس دعوة عامَّة، ليكثر فخرُهم، ويكثر ما يعطونه النَّاس من إكرامٍ، من زادٍ وأكلٍ وما شابه ذلك.

فهنا "أدَبَ الرَّجلُ يأدِبُ" يعني: دعا إلىٰ مأدبة، والمأدُبة فيها الحديث. الحديث عند العرب قبل الإسلام يكون في أشعارهم وأخبارهم وتاريخهم ونثرهم ومقاطعهم، وتفنُّنهم في اللَّفظ، وتفنُّنهم في القصة، وتفنُّنم فيما يريدون من الفخر أو الهجاء، أو إلىٰ ضروب ما يهتمُّون به جميعًا.

فصار مع الزَّمن تكرار ذلك في المأدبة، الحديث الخاصّ في المأدبة، الَّذي فيه هذه الضُّروب المختلفة من الاهتمامات اللُّغوية المختلفة، صار يُسمَّىٰ أدبًا؛ لأنَّه يتأدَّب به الكبير بما يرىٰ من سيرة الأوَّلين، ويتأدَّب به الصَّغير فيما يحفظ. وصارت تُحفظ وتُنقل، ومنها من المأدوبات حُفظ الشِّعر، وحفظت الخطب، وحُفظ النَّثر، وحُفظت المقاطع التي تعج بها كتب الأدب وكتب الشِّعر ودواوينه.. في قصَّة طويلة موجودة في تاريخ الأدب.

لما جاء الإسلام، جاء القرآن الكريم، أنزله الله جلَّ وعلا باللُّغة العربية، باللِّسان العربي المبين، الَّذي به التَّحدِّي لكلِّ فنون الأدب واللُّغة التي كانت من قبل. وسلَّم العربُ علىٰ جلالة علومهم بلغتهم ولسانهم، سلَّموا له القيادة، وسلَّموا له الرِّيادة، وسلَّموا له الإعجاز، وصاروا يأخذون منه، ويقتفون أثره في ألفاظه ومعانيه وأساليبه وتراكيبه وصُوره وتشبيهاته وجميع الفنون الَّتي يريد الأديب أن يستقي منها.

وقتٌ ليس طويلاً حتىٰ جاء في إطار الإسلام الاهتمام بالشِّعر العربي باستعمالات العرب لفهم معاني القرآن الكريم، وقد ذكر أهلُ العلم في كُتبهم في معاني القرآن الاحتجاجات الشِّعريَّة الكثيرة لتأكيد أنَّ معنىٰ الآية هو كذا، لأنَّ العربَ استعملتها في شعرها ويُوردون شيئًا كثيرًا من ذلك.

وشيخ البلاغيِّين وكبيرهم وإمامهم وأنفعهم في هذا الفنّ، الشيخ عبد القاهر الجرجاني، في أوَّل كتابه «دلائل الإعجاز» في نحو أربع وثلاثين صفحة، قدّمه بصحَّة الاستشهاد بالشِّعر علىٰ معاني القرآن، وأنَّ هذا ديدن العلماء، وأنَّ من طعن في هذا المسلك فإنَّه طعن طعنًا ليس مقبولًا؛ لأنَّ العلماء تواردوا علىٰ ذلك. وذكر أشياء كثيرة جدًّا من الأمثلة، فجعل قاعدته في الدُّخول إلىٰ دلائل الإعجاز أنَّ الشِّعر يُحتجُّ به علىٰ معاني القرآن الكريم.

وفي هذه القصَّة المعروفة التي رواها ابن جرير الطَّبري بإسناده، أنَّ عمر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خطب النَّاس يومًا، وتلا وكان يحب أن يتلو آيات من سورة النَّحل، فتلَا حتىٰ بلغ قوله تعالىٰ في سورة النحل: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾، فقال: أيُّها الناس، ما التَّخوف؟ يأخذهم علىٰ تخوفهم، هم يعني ليسوا بمؤمنين، فكيف يأخذهم وهم يخافون؟ فقال: ما التَّخوُّف؟

فقام رجل من هُذَيل، من بني كبير من هذيل، فقال: يا أمير المؤمنين، التَّخوُّف في لغتنا التَّنقُّص، يعني ينقصهم شيئًا فشيئًا، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي:

تَخَــوَّفَ ٱلرَّحْــلُ مِنْهَــا تَــامِكًا قَــرِدًا كَمَــا تَخَــوَّفَ عُــودَ ٱلنَّبْعَــةِ ٱلسَّــفِنُ

يعني الرَّحل علىٰ البعير يحك في السَّنام، يأخذ منه حتىٰ يذهب به، يعني يأخذهم شيئًا فشيئًا حتىٰ ينتهوا.

فقال عمر الكلمة التي أصبحت مدخلًا لعلماء الإسلام، علماء اللُّغة والأدب والشَّريعة، قال: أيُّها النَّاس، عليكم بديوان العرب، يعني: الشِّعر، فإنَّ به معرفةَ كلام ربِّكم.

وأخذ هذا عنه الصَّحابة، فاحتفلوا كثيرًا بشعر العرب في الدِّلالة علىٰ معاني الآيات، ومنهم من كان كثير الاحتفال بذلك تُرجمان القرآن عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. وهو لمَّا آل به سير حياته إلىٰ مكَّة وسكنها، ثم سكن بعدها الطَّائف وتوفِّي بها، فكان في مكَّة يفسِّر القرآن.

وكان هناك مجموعة من الخوارج ينظرون إليه، فقال بعضهم لبعض: قوموا بنا نذهب إلىٰ هذا الَّذي يجترئ علىٰ تفسير كلام الله تعالىٰ، نسأله عن مصادِقه من كلام العرب، يعني يريدون الدليل، فَسَّرتَ الآية بكذا، ما دليلك علىٰ أنك فسرت بكذا؟ فذهبوا إليه، فقالوا له: يا ابن عباس، إنَّك تفسر آيات، وأنا سائلوك عن مصادقها من كلام العرب، فقال: سَلوا. فقال: ما **العزون "في قوله تعالىٰ:** ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾[المعارج]؟

فقال لهم ابن عباس: العِزون جماعات في تفرقة، هنا جماعة وهنا جماعة وهنا جماعة، مجتمعون جماعةً، ومتفرِّقون جماعات. فقالوا: هل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، ألم تسمعوا إلىٰ قول الشَّاعر:

فَجَـــاءُوا يُهْرَعُـــونَ إِلَيْـــهِ حَـــتَّى يَكُونُـــوا حَـــوْلَ مِنْـــبَرِهِ عِزِينَـــا

ثم قالوا له: ما الوسيلة في سورة المائدة في قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[المائدة:٣٥]؟ فقال ابن عبَّاس: الوسيلة الحاجة في هذه الآية. قالوا له: وهل تعرف العربُ ذلك؟ قال: نعم، قال شاعرهم عنترة:

إِنَّ ٱلرِّجَـــالَ لَهُـــمْ إِلَيْـــكِ وَسِـــيلَةٌ أَنْ يَأْخُـــذُوكِ تَكَحُّـــلِي وَتَخَضُّـــبِي

(لهم إليك وسيلة)، يعني حاجة، فإذن الوسيلة ليست بمعنىٰ التوسل هنا، بل بمعنىٰ الحاجة.

في أسئلة كثيرة تبلغ نحو ثلاثين سؤالًا معروفة محفوظة وموجودة، أوردها بإسنادها ابن الأنباري في كتابه «الوقف والابتداء»، والطبراني وجماعة، وذكرها بتفصيلها السُّيوطي في «الدُّر المنثور» وفي «الإتقان»، وفي غيرهما.

نشأ من هذا بداية تدوين وتجميع الشِّعر؛ لأنَّ الشِّعر في نشأته الحركة في القرن الأوَّل، كان شعر

العرب الجاهلي لأجل حفظ معاني القرآن الكريم. لمَّا كانت الحركة أنَّ الذي يعرف شعرًا ليفسِّر به القرآن مميَّزًا، فصارت الحركة قويَّة لجمع ديوان العرب، فصار النَّاس يحفظون ويجمعون، وهناك من تخصَّص في ذلك، حتَّىٰ وصلنا إلىٰ تدوين شعر العرب في الكُتب الكُبرىٰ المعروفة، مثل كتب الأصمعي، وغير ها.

ثم تلا ذلك حركةً لغويَّة كبيرة في معاني القرآن بالاستناد إلىٰ تفسيرات، والَّذين اعتنوا بمعاني القرآن ليس تخصُّصهم شرعيًّا، والَّذين اعتنوا بالقراءات ليسوا متخصِّصين في كلِّ علوم الشَّريعة،

فمثلًا: أبو عمرو نحوي وهو أحد القرَّاء المشهورين،

والكِسائي نحوي وأديب، وليس من العلماء بالحديث وبتفاصيل الشَّرع؛ لكنه عالم بالقرآن وعالم بالشعر.

فبدأت كتب الأدب تدوَّن بهذا الشَّكل، دواوين وكتب معاني القرآن الكريم،

ثم تلاها تدوين المعاجم اللُّغويَّة بعد أن كانت مفرَّقة. فابتدأ الخليل بن أحمد الفراهيدي كتابه «العين»،

ثم في سلسلة قوية رصينة إلىٰ أن وصل إلىٰ كتاب «تهذيب اللُّغة» لأبي منصور الأزهري، اللُّغوي السَّلفي القوي جدًّا في علم القرآن وعلم اللُّغة ونقولاته في ذلك. وكان هذا في القرن الثَّالث بعد ظهور المعتزلة وكثير من الطَّوائف،

فوضع في كتابه صميم لغة العرب بشواهدها من كلام العرب لتفسير القرآن، ممَّا يتَّفق تمامًا مع اتجاه السَّلف في القرنين الأوَّل والثَّاني من الهجرة.

توسّعوا في علم اللُّغة، فصارت هناك المجالس، مجالس المُلوك، مجالس الأُنس، والمأدبات، وحضور النَّاس بعضهم مع بعض، تداولون فيها مع الشِّعر -والشِّعر ممل إذا طال التَّداول- منثور كلام العرب، أي: القصص، وصار كذا، والأمثال وقصصها، وما إلىٰ ذلك.

في أوَّل القرن الثَّالث، بدأ تدوين المنثور من كلام العرب، فصار عندنا الآن ثلاثة خطوط تسير معًا:

١. الشِّعر؛ دواوين الشِّعر.
٢. اللُّغة؛ مفردات اللُّغة، وهي لخدمة تفسير القرآن الكريم، في أوَّلها.
٣. المنثور، كُتب الأدب.

جاءت الكتب الأدبيَّة الكبرىٰ المشهورة، مثل كتب ابن قتيبة، وكتاب «الكامل» للمبرِّد، ومثل «العقد الفريد»، و«عيون الأخبار»، وما أشبه ذلك من الكتب التي تضم الأخبار المتناثرة.

ثم توسَّعوا في كتب الأدب، فجاءت أشياء أخر.

هنا وصلنا إلىٰ مرحلة أصبح فيها علماء الشَّريعة، والأدباء، والشُّعراء، كلُّهم شيئًا واحدًا.

وابن قتيبة أديبٌ، وسمِّي "أديب أهل السُّنّة"، ولكنَّه أيضًا له كتبٌ في الرَّدِّ علىٰ المشبِّهة، وكتب في الرَّدِّ علىٰ النصارىٰ، وكتب في الرَّدِّ علىٰ الشُّعوبيَّة، أي أنَّه مارس مع الأدب الدفاع عن الإسلام وحمايته في كتبٍ كثيرة سواء مفردة أو مضمَّنة في كتبه الرَّئيسة.

والجاحظ وهو أديبٌ مشهور يعني وفي قمة الأدباء فيما كتب، ومعتزليُّ الاعتقاد؛ لكنَّه دافع، له كتب في الدِّفاع عن الدِّين، الرَّد علىٰ النَّصارىٰ، والرَّدَّ علىٰ الَّذين يطعنون في القرآن، والرَّد علىٰ... وإلىٰ آخره، في ردود كثيرة، تعني أنه يحمل مع أدبه وتفننه رسالة لحماية الدِّين وحماية الملَّة من الآخرين.

وهذا هو الذي كان موجودًا في القرن الثَّالث الهجري، يعني بعد سنة ٢٠٠هـ، في كلِّ كتب الَّذين كتبوا الأدب، كلُّ كتبهم لازم دفاع عن الإسلام.

المبرِّد مثلًا في كتابه «الكامل» المشهور، آخره كله عن الخوارج، شعر الخوارج، جاء شعر الخوارج، وأخبار الخوارج، إلىٰ آخره، وضمَّنه ردودًا عليهم ودفاعًا عن السُّنَّة في ذلك.

فإذن الخليط هذا إلىٰ سنة ٣٠٠هـ، الخليط كان الأدب مع العلم الشَّرعي واحدًا، لم يكن أهل العلم يطعنون في الأدباء، ولم يكن الأدباء يطعنون في العلماء. لذلك لمَّا جاء من كتبوا في التَّراجم، مثلًا ابن النَّديم في «الفهرست»، مثل ياقوت الحموي في «معجم الأدباء»، تجد «معجم الأدباء» ٣٠٪ من علماء شريعة: ابن جرير الطَّبري، الشَّافعي، إلىٰ آخره.

إذن، إلىٰ أن نصل إلىٰ هنا، كان المشهد واحدًا، صلة قويَّة بين علماء الشَّريعة وعلماء الأدب، كان الاهتمام عند الأدباء بعلوم الشَّريعة قويًّا، والاهتمام من العلماء بعلوم الأدب قويًّا، حتَّىٰ إنَّ الشَّافعي ذُكر عنه أنه قال: **تعلمتُ الأدب في سبع سنين، وتعلمتُ الفقه في سنة**. ولغة الشَّافعي وهو فقيه محدِّث إمام في الفقه والحديث، لغة الشَّافعي أجمع العلماء، علماء اللُّغة، علىٰ أنَّ ما كتبه في كُتبه حجَّة في اللُّغة، مع أنَّه توفي سنة ٢٠٤هـ، وأهل الاختصاص في الاحتجاج باللُّغة يقفون بالاحتجاج في اللُّغة عند سنة ١٥٠هـ، عند وفاة إبراهيم بن هرمة الشَّاعر المعروف، ولكنَّه حجَّة، لأنَّه اهتم بهذا اهتمامًا لغويًّا، حتَّىٰ قيل في بعض

الألفاظ: هذا لفظ الشَّافعي، هذه لغة الشَّافعي، لماذا؟ لتقديره في حفظه لكلام العرب، وجمعه ما بين هذا وهذا.

فإذن كانت الصِّلة واحدة، هنا دخل في الأمَّة شيءٌ جديد في العصر العبَّاسي، العصر العبَّاسي كان عصرًا يموج بكثير من التَّداخلات، ليس كالعصر الأموي، ولا أوائل العصر العباسي.

العصر العباسي دخل فيه تأثير الأدب الفارسي، الفُرس عندهم أدب رصين وقديم بلغتهم، وتُرجم في ذلك الوقت، وفي العهد العباسي نشطت التَّرجمات، سواء ترجمة الآداب الفارسيَّة بأنواعها، أو الآداب اليُونانيَّة والرُّومانية بأنواعها بحسب الحال.

فدخل الأدب الَّذي فيه طلبٌ لشيءٍ ليس هو الَّذي كان موجودًا، كان موجودًا حِفْظ كلام العرب، حفظ لغة العرب، حفظ احتجاجات العرب، حفظ اللُّغة من حيث هي، المحافظة عليها.

لمَّا جاء الأدب الفارسي ودخل في العهد العبَّاسي، حصل شيءٌ جديد، وهو أنَّ الأدب المدني أو الأدب المتأثِّر بالحضارة -الَّذي ما له رسالة في الأساس؛ لكن متأثر بالحضارة-، يبحث عن الجمال. الجمال بحث موجود عند اليونانيِّين، ونوع من أنواع الفلسفة، وله بحث تفصيلي، الجمال في كلِّ شيء، ومنها الجمال في الكلام، الجمال في الكلام صيغة إظهاره للنَّاس بالأدب، شعرًا ونثرًا وخطابًا، وإلىٰ آخره، نوع من الجمال هذا الَّذي أوغل فيه الأدب الفارسي، ودخل علىٰ الأدب الإسلامي أو الأدب العربي، هو المبالغة في الصُّور، الصُّور البلاغيَّة، الصُّور التَّشبيهيَّة، إلىٰ آخره، ودخلت فيها صور جديدة، وقد لا تكون متَّفقة مع الشَّرع، وقد لا تكون موجودة، يعني جائزة، مثل وصف النِّساء بتفصيل بعمق، وصف العِشْرة والمعاشرة بتفصيل، وصف الغِلْمان بتفصيل، تغزُّل، إلىٰ آخره. جاءت معانٍ جديدة، هي موجودة عند الثَّقافة الفارسية الأدبية قبل الإسلام، ومشت، وتُرجمت كتبها، فتأثَّر بها في ذلك الوقت.

وهنا محطٌّ تحوُّل كبير في تاريخ العلاقة بين الأدب والشَّريعة. استمرَّ، صار عندنا الآن خطَّان رئيسان: استمرَّ الخطُّ الأوَّل وهو الرَّصانة والأدب الإسلامي واللُّغوي، وإلىٰ آخره،

ثم جاء الأدب العربي الذي يبحث عن الجمال والمنافسة في الجمال. لذلك، كثيرٌ من الشُّعراء عندهم وصف للنِّساء بعمق، أو وصف لمجالس الخمر بعمق، أو وصف للغلمان بعمق؛ لكن هل هم عاشروا هذه الأشياء؟ لا، بعضهم ناس فقهاء، وبعضهم ناس أدباء، لا يُشهد عليهم أنهم عاشروا، وإنَّما قصدوا به المنافسة في الصُّور الجماليَّة للشَّيء الذي يرونه جميلًا، والتَّنافس في الصُّور لا يعني المواقعة.

وهذا يكون ضمن تفسير قول الله تعالىٰ في الشُّعراء: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾، لماذا يقولون؟ لأنَّه يريد تصوير ما هو، لا يريد الحالة نفسها، لا يريد الحالة نفسها، يريد أنِّي أنا جئت بشيء ليس عند الآخرين.

وهذا قاله الأديب المشهور، والشَّاعر المعروف عمر بن الوردي في القرن الثَّامن، وهو موجود في ديوانه، يقول:

أَسْـــتَغْفِرُ اللهَ مِـــنْ شِـــعْرٍ تَقَـــدَّمَ لِـــي فِـي الْمُـرْدِ قَصْـدِي بِـهِ تَـرْوِيجُ أَشْـعَارِي

يعني يريد أن يكون عنده شيء، يعني: أنِّي أنا فنَّان، أنا فنَّان عندي تشبيه، عندي عقلية، أحسُّ بالجمال، أقدر أتكلَّم، إلىٰ آخره.

فهذا جاء شيءٌ جديد في تاريخ الأدب، فجعل الأدباء يغشوْن أشياء، ويتكلَّمون بأشياء لا يقرُّهم عليها العلماء. فوقعت بدايات خلافات ما بين تجويز هذه الصُّور وعدم تجويزها، فالعلماء لم يسمحوا لهم بذلك، وهم أرادوا أن يستقلُّوا، ولم تكن هناك محاسبة. في وسط العصر العباسي القرن الثالث والرابع، فصار هناك بعد، نحن معتزون بما عندنا، وأنتم معتزون بما عندكم.

فمضىٰ خطَّان إلىٰ اليوم، مضىٰ خطان منفصلان بشيء من الانفصال،

الخطّ الأوَّل: موجود في الخط الرَّصين للأدب،

والخطّ الثَّاني: ذهب إلىٰ شيء آخر.

ما نريد التَّطويل في التاريخ في ذلك، لكن نقفز قفزة إلىٰ الحداثة. لمَّا جاء الأدب الحديث والمدارس الفرنسيَّة في الأدب، والمدارس الإنجليزيَّة، والمدارس الأوروبيَّة بشكل عام، ثم المدارس الأمريكيَّة وتُرجمت كُتبها، وجاءت إلىٰ مصر مع بدايات عهد الحملة الفرنسيَّة علىٰ مصر، وتُرجمت.. إلىٰ آخره.

فصار هناك مدارس جديدة في الأدب، سواء في الشِّعر أو في النَّثر، ثم جاءت الرُّومانتيكيَّة والتَّجريديَّة والرَّمزيَّة والسِّرياليَّة إلىٰ آخره من المدارس الفرنسيَّة بأنواعها.

ثم صار هناك تقليدٌ لفرنسا وإنجلترا بأدبها، فذهب التَّقليد باستخدام اللُّغة العربيَّة في تركيبة أدبيَّة أوروبيَّة، فجاءت الرِّواية وجاءت المسرحيَّة إلىٰ آخره، بلغة عربيَّة؛ لكن بأفكارٍ فرنسيَّة.

ثم جاء ما بعدها من تأثيرات مختلفة، بانفصالٍ ما بين روح الأديب وما بين رُوح أمَّته. فالأمَّة في شأن والقرآن يُهاجَم، والسُّنَّة تُهاجم، والشريعة والعلماء يُنقَص من شأنهم، وكتب العلماء وُصفت بأنَّها كتب

صفراء، وهؤلاء لا يعون شيئًا، وصار الحداثيُّون هم أصحاب الميزة، إلىٰ آخره.

فنما هذا الجيل بقوة في أواخر القرن التَّاسع عشر وأوائل القرن العشرين، حتَّىٰ بُعِد الشِّعر العربي، وبُعدت اللُّغة العربية تمامًا.

حتىٰ صار هناك رجلان في مصر (الجزيرة في ذلك الوقت بعيدة عن المشهد آنذاك)، وفي الشَّام والعراق، انتدبا أنفسهما للمحافظة علىٰ اللُّغة العربيَّة، وبقاء الخطّ الأوَّل للأدب الإسلامي العربي الأصيل، وهما:

الشَّاعر المشهور محمود سامي البارُودي، الَّذي عمل علىٰ المختارات وأسس مدارس،

والثَّاني هو الشَّيخ المرصفي، الَّذي أسس في مطبعة بولاق والمطبوعات قبله العناية بدواوين الشِّعر ونشرها وفرضها.

ثم فجأة تأسَّست دار العلوم في مصر للعناية بالشِّعر العربي والأدب العربي إلىٰ آخره، مع العناية بغيرها، فصار هناك جيل في القرن العشرين، وقع أكبر انفصال في التَّاريخ بين العلوم العربيَّة وبين الشَّريعة وأصول العقائد.. إلىٰ آخره، حيث صار هناك بينونة كاملة وانفصالٌ كاملٌ بين الَّذين يذهبون بالأدب إلىٰ مناحي الأدب الأوروبِّي بمدارسِه المختلفة، وبين الأدب الإسلامي.

ونتج عن ذلك أدب القصَّة والمسرح إلىٰ آخره، وتمت ترجمة القصص، بل حتَّىٰ بعض ألفاظها تُرجمت، فظهرت أنواع جديدة من الأدب.

فحصل في الأدب نفسه انفصال، فصار هناك أدب إسلامي وأدب غير إسلامي، وأدب عربي رصين وأدب حدَاثي، وصارت هناك لغة عربيَّة تفككت علومها، فدخلت فيها البِنْيَوية، ودخلت الكلام في اللِّسانيات التفصيلية إلىٰ آخره، تأثُّرًا بالنَّظريات الغربيَّة.

وفلاسفة أوروبا، بالنَّظر إلىٰ الفلسفة في قرون النَّهضة الأوروبيَّة، لم يغفلوا عن أن يحمل الأدب رسائل فلسفيَّة، لأنَّهم يريدون التَّغيير، والتَّغيير مهمّ عندهم، الحداثة، التَّنوير، إلىٰ آخر مصطلحاتهم.

فأخذوا جميع المؤثِّرات، ودخلوا في المشهد بمؤثِّرات كثيرة علىٰ النَّاس. فجميع المؤثِّرات دخلوا فيها، وسارتر كتب "ما الأدب؟" وطرح فيه نظريات قويَّة ودقيقة جدًّا في كيفية تحويل الأدب إلىٰ مفاهيم الفلسفة الغربيَّة.. إلىٰ آخره، وتفاصيل كثيرة حول تفسير النَّظريات اللِّسانية، وكيفية فهمها وتفكيكها، وجعل الكلام في اللُّغة العربية أو في اللُّغات كلها يخدم الفكرة الفلسفيَّة.

إذن، صار لدينا انفصال أكبر بين الأدب الَّذي يُراد له أن يكون أدبًا فقط، والأدب الذي يخدم أيديولوجيا معيَّنة، فتحوَّل الأدب إلىٰ خدمة الأيديولوجيات، ممَّا جعل الأدب الحديث مختلفًا تمامًا عن الأدب العربي القديم.

هذه الصُّورة باختصار هي التي أوقعت الكثير من عدم الوئام بين المدرسة اللُّغويَّة الشَّرعيَّة وبين أدباء العربيَّة وأدباء الحداثة.

ومعارك الأستاذ محمود شاكر مع الآخرين كانت معارك كبيرة جدًّا، ومعروفة ضدَّ أصحاب الأدب الحداثي، أو الأدب الَّذي يقف مع الأدب الأوروبي، بنت الشَّاطئ وغيرها..

أمَّا في المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، فقد تأسست فيها الأندية الأدبية، وكل نادٍ أدبي له مجلس وأفكار ومدارس مختلفة. ففي المملكة، جاءت المدرستان:

المدرسة العربية الأصيلة، ومن ضمنها النَّادي الأدبي في الرِّياض، والنَّادي الأدبي في المدينة، ونادي القصيم ومكة، وغيرها، والَّتي حافظت علىٰ الأدب الَّذي يقرُب من الأدب الإسلامي، ولكنَّه أدب حضاري مُنفتح يحمل رسالةً وطريقةً معيَّنة.

الشَّيخ عبد الله بن إدريس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ، في فترته في النَّادي الأدبي، كان يشعر بهذه المُشكلة، ولذلك جمع في إنتاج النَّادي الأدبي بين الحصافة والقوَّة العربيَّة في إصدارات، وبين الحداثة في إصدارات أخرىٰ، فكان النَّادي الأدبي نموذجًا للرَّصانة في المواءمة، وعدم الخلاف بين المهتمِّين بالأدب الإسلامي الأصيل، والمهتمين بتطوير الأدب أو الأدب الحداثي.

أمَّا في أماكن أخرىٰ، فقد كانت مستقلة. ولو أراد أحد الاطلاع علىٰ تواريخ الأندية الأدبية، فعليه الرُّجوعَ إلىٰ المجلات، مثل مجلة النَّادي الأدبي في الرِّياض، والتي تختلف عن مجلة النَّادي الأدبي في جدَّة، فكلُّ نادٍ له إصداراته واتِّجاهه الأدبي.

وفي المملكة، جاء هذا الخليط متأثرًا كغيره، فوُجد هذا التَّنوُّع.

وطبعا، فإنَّ دراسة الأدب بشكل مجرَّد تجعلنا نرىٰ أنَّ الأدب من أصله لازم يخدم فكرة؛ لا يمكن أن يكون منفصلًا عن فكرة معينة.

فالأدب علىٰ مدار ٣٠٠ سنة خدم الإسلام بعقيدتة وشريعته وأمّة الإسلام وحضارتها وقوتها ودولة الإسلام... إلخ

ثم بعد ذلك صار مفكَّكًا، فخدم أفكارًا أخرىٰ؛ فالبعض خدم شيئًا، والبعض خدم شيئًا آخر، إلىٰ آخره. خدم حضاراتٍ أخرىٰ، خدم أفكارًا أخرىٰ، مختلطٌ، مضطربٌ، إلىٰ آخره، لكنه خدم أفكارًا.

العصر الحديث لا يمكنك فصل الأدب عن أن يكون خادمًا لأيديولوجيا معيَّنة؛ لأنَّ الأديب - سواء كان شاعرًا، أو قصصيًّا، أو غير ذلك - يحمل فكرةً، ويملك قدرةً علىٰ البيان، وقدرةً علىٰ تصوير ما في النَّفس، والتَّعبير عن المشاعر، والتَّعمُّق في المشاهد التي أمامه. قد يكون المشهد لا يُحسُّ به الجميع، لكنَّه يحسُّ به، ويتأثر به، ويتأثر به الآخرون، تأثروا كثيرًا بالأدب الغربي.

الأدب الرُّوسي، الَّذي هو أعمق في اكتشاف الإنسان، وأعمق في فهمه، وأعمق في معرفة حقيقته، وقدراته، وما يحبُّ، وما لا يحبّ، وما يؤثر عليه، وما لا يؤثر عليه. لم يكن له تأثيرٌ علىٰ الأدباء في المملكة العربيَّة السَّعوديَّة إلَّا لمامًا؛ لأنَّ هذه المدرسة لم تكن مؤثرةً في مصر إلَّا قليلًا، ومصر أخذت من فرنسا، ومصر جاءتنا بشكلٍ أو بآخر.

الأدب الرُّوسي في تحليله للإنسان مفهومٌ بسرعة، فإذا قرأ العالمُ الشَّرعي كتبَهم مثل تولستوي، وديستويفسكي، وكتابهم، يجد فيها ما يشبه تحليل القرآن للإنسان. فالذي يعرف القرآن والتَّفسير يرىٰ في قصصهم ورواياتهم الطَّويلة كلماتٍ يلتقطها، ويقول: "هذا ولو لم يكن مسلمًا فقد التقط الحكمة"، لأنَّهم لم يكونوا يخدمون أيديولوجيا، بل كانوا يكتبون عن الإنسان بصفاءٍ وتجرُّد.

وهنا نصل إلىٰ وظيفةٍ مهمَّة: أنَّ الأدب الإسلامي الشَّرعي الأصيل هو لخدمة الإنسان فيما يُصلحه في آخرته ودنياه، وفي رسالة الإسلام، ودينه، وعقيدته. هم اهتمُّوا بالإنسان من ناحيةٍ حياتيَّةٍ بحتة، وهذا وجهُ شبهٍ ووجهُ التقاءٍ في هذه النَّاحية.

لذلك، يجب ألَّا يعتقد أحدٌ أنَّه يمكن أن يكون الأدب بمعزلٍ عن التَّأثير الأيديولوجي. الأدب بأنواعه - والشِّعر بأنواعه - لا بدَّ أن يحمل فكرًا، ولا بد أن يكون وراءه تصورٌ للأشياء. فالشَّاعر والأديب يتصوَّر الأشياء الكلِّيَّة، ويتصوَّر الإنسان في علاقاته وتصرُّفاته ومشاعره.. في الحياتية، وإذا كان يتصور الأمور الكلية، فهذا يعني إيديولوجيا.، وإذا شيء داخل فيه هو هذا يتعلق بالإنسان في نفسه.

وإذا كان الأمر كذلك، فلابد أن يراجع الأديب نفسَه مراجعةً دقيقةً. فلا يكون مقلِّدًا؛ بل يجب عليه أن يذهب إلىٰ الأيديولوجيا نفسَها، وتتعمَّق فيها، ويختبر قناعته بها. لا يجوز له أن يتلبَّس بها دون فهمٍ، ثم يبثُّ أفكارها وأبجدياتها وأدبياتها للنَّاس وهو لا يعرفها، فيؤثِّر فيهم بأسلوبٍ غير واعٍ، ويكون قد

أرسل الأدب إرسالًا غيرَ مفهومٍ وغير محمودٍ، لا في الأدب، ولا في العقيدة الإسلاميَّة.

الَّذي نؤكِّد عليه هو أنَّ التَّنافر بين العلماء والأدباء لا ينبغي، ولا يصلح. لا بدَّ من مدِّ الجسور والتَّواصل بينهما مهما كان نوع هذا التَّواصل. كما أنَّه لا بد للأمَّة من عقلياتٍ متنوعة؛ فإذا لم تكن عقلية الفقيه، أو عقلية المحدث، أو عقلية المفسِّر لا تناسب هذا التواصل، فلا بد من وجود عقلياتٍ أخرىٰ تناسبه، ولا بدَّ من وجود لغةٍ مؤثِّرةٍ تستطيع الجمع في الرِّسالة بين العلماء والأدباء.

نحن في أضعف مراحلنا التَّاريخيَّة، والنَّفسيَّة، وفي مرحلة تفريغ الإنسان المسلم من مُفردات قوَّته النَّفسيَّة والعقليَّة والتَّاريخيَّة... إلخ، وهذا التَّفريغ يجعله ضعيفًا أمام أيِّ قوىٰ أخرىٰ تواجهه، سواء كانت فكريَّةً، أو عقديَّةً، أو تسعىٰ لتحريفه عن دينه وعقيدته وأساسه وتاريخه.

علىٰ العموم، الدُّكتور زياد حفظه الله قال: لا تتجاوز الوقت، وفي الإشارة كفاية، وشاكر لكم، ومقدِّرٌ لكم، وأسأل الله جلَّ وعلا أن يجعلنا وإياكم من الموفقين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبينا محمَّد.

مداخلة: شكرًا معالي الشَّيخ علىٰ هذا التطواف الجميل، وأنت استشهدت بالإمام الشَّافعي، وممكن أيضًا أن نضيف ابن حزم إلىٰ الَّذين جمعوا بين الشَّريعة والأدب. ابن حزم، الذي قال في «طوق الحمامة» لمَّا ذكر هذه الصُّور الجميلة: "إني أشهد الله أني لم أفكَّ أزاري علىٰ غير زوجتي وغير أهلي"، نفس الاستشهاد الذي ذكرته. بينهم من كانوا فقط يقولون ما لا يفعلون، ويمكننا أن نضع بين الَّذين جمعوا بين الشَّريعة والأدب مع الشَّافعي وابن حزم: الشَّيخ صالح آل الشيخ، الذي يمتِّعنا اللَّيلة بهذا العرض الشَّامل.

وطبعًا، عندما ذكرت أيضًا الأدب الرُّوسي، يمكن أن يكون من يستشهد بعمق في مفرداته دوستويفسكي وتولستوي، صحيح أنهما كانا يمتلكان روحًا أدبيَّة، لكن الذي كان مبهرًا جدًا هو الشاعر الروسي بوشكين، كان الكثير يقولون: ربَّما إنَّه مسلم ويخفي إسلامه لشدة ما تبيَّن من الألفاظ القرآنية في شعره.

لنفتح المجال لأيِّ مداخلات أو تعليقات.

مداخلة: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّد، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم علىٰ آله وصحبه أجمعين.

جعل الله هذا البيت عامرًا بأهله وعلمه وأدبه.

وشكرًا لشيخنا الشَّيخ صالح علىٰ هذا التِّطواف الجميل الحقيقة، كنت في هذه الدَّقائق أعيش رحلة سياحيَّة عبر التَّاريخ من خلال هذا الاستقراء والتِّطواف الجميل. وأذكر أنَّهم وصفوا عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بأنَّه كان لا يحترف شيئًا من عمله إلَّا ويستشهد فيه ببيت أو بيتين.

فالعرب كان الشِّعر مخلوطًا بدمائهم. وكانت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا من المكثرين في الاستشهاد بالشِّعر، وسبب ذلك أنَّ المعاني قد تُؤدَّىٰ بلفظ لا يثير حراكًا في المستمع؛ لكن تُؤدَّىٰ المعنىٰ أيضًا بلفظ ينقل الرَّجل من مكانه.

قد تستمع إلىٰ خطيبين يتحدَّثان في موضوعٍ واحد:

أحدهما: يُشعِر الإنسان بالملل،

والآخر: يستثير كل مشاعره، بل ربَّما سالت دموعه وهو يستمع.

ومن غريب ما سمعت في هذا، أنَّه لمَّا زار الشَّيخ محمود شاكر رحمة الله عليه المملكة وعُقدت له ندوة في ثانوية اليمامة، كان يقرأ أبياتًا من شعر العرب، وكان من الغريب أنَّه يقرأ بعض الأبيات ويبكي. لم يكن يتلو شيئًا فيه تخويفٌ من الآخرة أو دعوة إلىٰ الجنَّة؛ لكنَّه كان منفعلاً أشدَّ الانفعال بروعة الصُّورة التي يذكرها ودقَّة المعنىٰ.

ولهذا، أظن أنَّ عبد القاهر الجرجاني، أو غيره، يقول: إنَّ المعاني مبثوثة في الطَّريق؛ ولكن الَّذي يميِّز شخصًا عن آخر هو من يصوغ هذا المعنىٰ في قالبٍ غير القالب الذي يصوغه الآخر.

وأنا أجد هذا حتَّىٰ في الفقهاء الَّذين لهم عناية بالأدب، فحينما تقرأ كُتبهم تجد فيها سلاسة اللَّفظ ووضوح المعنىٰ والقُدرة علىٰ إيصال الفكرة إلىٰ النَّفس أكثر من غيره.

عندما تقرأ في كتاب «شرح مختصر الرَّوضة» للطُّوفي، أحيانًا تحس أنك تقرأ قطعة أدبيَّة وليست مقالة في أصول الفقه، رغم صعوبة هذا العلم؛ لكنَّه، بفضل لسانه العربيِّ الفصيح، استطاع أن يؤثِّر في القارئ. ولهذا، أعتقد أن الأدب هو قالب المعاني الشَّرعية.

وإذا كنا نبتغي أن يكون للمعنىٰ الشَّرعي تأثير في نفوس النَّاس، فينبغي أن نحترف الأداة الَّتي توصله إليهم.

ومن غرائب طرائق التَّعليم، أنَّهم يقولون: إن هناك طريقتين في التعليم:

الأولىٰ: ترىٰ بعد تعليم القراءة والكتابة تحفيظ القرآن ثم السنة والعلوم الأخرىٰ،

والثَّانية: ترىٰ أنَّ الطَّريقة المثلىٰ هي أنَّه بعد أن يعرف القراءة والكتابة، يُحفَّظ الشِّعر، ثم بعد ذلك ينتقل إلىٰ حفظ القرآن الكريم والمتون العلميَّة.

المقصود أنَّنا، ولله الحمد، استمتعنا بهذا اللِّقاء، وأنا أؤكِّد علىٰ المعنىٰ الذي ذكره الشَّيخ في آخر اللِّقاء، وهو أنَّه ليس هناك متأدِّبٌ لا يحمل فكرًا مسبقًا، إلَّا إذا افترضنا إنسانًا معزولًا عن واقعه وأفكاره، وهذا غير ممكن.

ولهذا، مقولة "الأدب للأدب" أعتقد أنَّها من أعظم المغالطات التَّاريخيَّة التي راجت بين النَّاس. أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يبارك في الجميع. صلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

معالي صالح آل الشيخ: شكرًا، الله يحفظك، بارك الله فيك.

مداخلة: بسم الله الرحمن الرحيم، أسعد الله أوقاتكم. شكرًا لمعالي الشيخ علىٰ هذه المحاضرة القيمة الجميلة، التي بالنسبة لي كنت أسعىٰ دائمًا إلىٰ أن أقرأ أو أستمع أو أشاهد بعض المحاضرات مثلها التي تُبث في اليوتيوب، الشيخ صالح ما شاء الله، يعني عالم أديب، وما يطرحه دائمًا هو طرح مختلف. أنا استمتعت واستفدت، ولدي الآن مجرَّد تعليقين سريعين أو تعليق وسؤال.

التَّعليق: الواقع أن الشيخ تحدث عن طريقين كانا متوازيين ثم افترقا، وأنا أعتقد أننا الآن نعيش طرقًا متعدِّدة، ليس فقط بين العلم والأدب، وبين الشَّريعة والأدب، وإنَّما داخل الشَّريعة نفسها وداخل الأدب نفسه. أعتقد أننا نعيش فترة تشظٍّ؛ فقد تشظّىٰ العلماء وتشظّىٰ الأدباء، وأصبح لا رابطة بينهم، وانتهت حتىٰ القواسم المشتركة. كانت هناك قواسم مشتركة لعالم الشَّريعة أن يكون عالمًا، أمَّا الآن فقد تجرأ علىٰ الشريعة من ليس عالمًا، وستجد له تفسيرات.

لا أريد أن أتحدث عن أسماء، ولكن في العملية نفسها ستجد هناك أناسًا ليست لهم علاقة لا باللغة ولا بالأدب، ومع ذلك هم يُفتون في الأدب ويتحدَّثون عنه، وبمجرَّد أن تستمع إلىٰ حديثهم أو تقرأ كلامهم ستجد أنَّهم يفتقدون إلىٰ أبجدياته.

لذلك، هذه الطرق والدعوة التي دعا إليها معالي الشيخ، أن نحاول لَأْمَ هذه الصفوف المتفرقة، دعوة كبيرة جدًا وعظيمة جدًا. وأتمنىٰ، وإن كنت أستبعد الواقع هذا.

مداخلة: بسم الله الرحمن الرحيم، جزاك الله خيرًا، مع الشيخ. والحقيقة أنَّها كانت لحظات مرَّت

كأنها ثوانٍ، الله يجعلها في ميزان حسناتك.

معليش، شيخ، نحن - الله يحفظك - في الأوقاف، ابنكم أحمد المقير، في أوقاف الشيخ عبد الله الرَّاشد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأوقاف عبد الله العثيم، ومعكم تشرفنا سابقًا في أوقاف العنود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحاليًا مع الإخوة - ما شاء الله - في وقف الشيخ عبد الله بن إدريس. بدأنا بوقف، والحمد لله في بداياته، ونعاني - شيخ - مما ذكرت، يعني موضوع الشَّريعة والأدب.

عندما نذهب للنَّاس وبعض الواقفين ونركّز علىٰ القيَم، الوقف - الحمد لله - يركز علىٰ القيم الدِّينية والوطنية والهويَّة العربيَّة والإسلاميَّة، ولغة القرآن. نجد أننا نتعب في إيصال هذه الرِّسالة لهم، وقد ذكرت معاليك قبل قليل أن الأمة في أشد مراحل تضعضع الهوية.

فلو تفضلت - يا شيخ - بتيسير كيف نستطيع من الشَّريعة أن نستجلب بعض المعاني التي تعيننا - إن شاء الله - في الوصول إلىٰ هدف تنمية هذا الوقف لخدمة هذه الرِّسالة؟

صالح آل الشيخ: الله يحفظكم جميعًا، أولًا أنا شاكر ومقدّر لمن علّق، وذكر، وأضاف، وأثنىٰ، ومدين للجميع بالفضل لهم.

لا أودّ الإطالة بالتعليق، لكن كان لي محاضرة عندما كنت وزيرًا للشُّؤون الإسلامية في الغرفة التِّجارية بالرِّياض، «**مجالات الوقف في الإسلام**». عرضت فيها لتاريخ الوقف ومجالاته، وكثرة أوقاف المسلمين علىٰ المستشفيات التي كانت تُسمَّىٰ البيمارستانات، وأوقافهم علىٰ المحتاجين، حتَّىٰ وُجدت أوقاف علىٰ الطُّيور، وأوقاف علىٰ الكلاب، لأجل شيءٍ معين.

مثلًا، في مكة، في القرن التَّاسع، كثرت الكلاب جدًّا، وتضرَّر النَّاس منها، فأمر الوالي بحبسها خارج مكَّة في أحواش، الذُّكور في جهة، والإناث في جهة أخرىٰ، حتىٰ تموت. فجمَّعوها، وبطبيعة الحال ستموت من الجوع. فجاء رجل فيه شعور، وتذكر حديث المرأة التي قال عنها النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله أدخل الجنة امرأة بغيًّا سقت كلبًا**». حتَّىٰ لا تموت هذه الكلاب من الجوع، جعل وقفًا محددًا للكلاب، وهذا الوقف موجود في محكمة مكة، واطلعنا عليه. كان الهدف منه أن تُغذَّىٰ الكلاب إلىٰ أن تموت طبيعيًّا، دون استعجال موتها بالجوع، لأن في ذلك معنًىٰ سيئًا.

الأوقاف كثيرة، مثلًا عندنا في الفقه الإسلامي - والحنابلة بالذَّات - نصُّوا علىٰ جواز الوقف علىٰ أهل الذِّمَّة. وقد ذكرت هذا في المحاضرة قبل نحو ٢٠ سنة، وأوقف عليه فقهاء الحنابلة كلُّهم، حيث

أجازوا الوقف علىٰ أهل الكتاب، وعلىٰ مريضهم، لأنَّهم في الذِّمَّة، وما داموا في الذِّمَّة فأنت مسؤول عنهم، سواء الدَّولة أو النَّاس. فيوقف عليهم إذا كانوا محتاجين للعلاج أو أولادهم لأمور حياتية، لأنه يجوز التَّصدُّق عليهم، وإن لم تجز لهم الزَّكاة.

من هذا نخرج بأنَّ ميادين الوقف تتحدَّد بحسب الحاجة، فكلَّما كان هناك الحاجة أشد، كان الوقف أفضل. وكلَّما كانت المصلحة أعظم شرعًا، كان الوقف أكثر أجرًا.

مثلًا، إذا وُجد بئران، وحُفِر ثالث ورابع، ولا حاجة لها، فالأولىٰ أن يتَّجه الوقف إلىٰ مجال آخر أكثر احتياجًا. هذا أعظم أجرًا.

وبالتالي، ستحتاجون إلىٰ عمل دراسات صغيرة، فيها معاني تدور حول هذا المفهوم، وهو أنَّ الوقف والصَّدقة يدوران حيث وُجدت الحاجة الأكثر، فالاتِّجاه لها يكون أفضل. وهذا مأخوذ من قول الله تعالىٰ في سورة البلد: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾[البلد] العقبة الشَّيء الشَّديد.

فهذا شيء بسيط، لكن سماه الله عقبة، لأنَّه وقت الفقر، وقت المجاعة، يصير في شدَّة أنك تطعم، ممكن تعمل شيئًا ثانيًا بيدك، لكن هنا صار في شدة، فلذلك صار عقبة، وصار أفضل.

فإذاً، تتنوع الفضيلة بتنوع المصلحة المتعدِّية، لذلك تحتاجون دراسات وكتابات لتوعية النَّاس.

النَّاس يميلون إلىٰ المنصوص عليه شرعًا، الَّذي فيه الدَّليل، يقول: "هذا أنا ما أبغىٰ أروح في الاجتهادات، أبغىٰ أروح للي فيه دليل"، وهذا طيب. لكن الاجتهاد الحقيقي أنه كلما كانت المصلحة أكبر، كان الأجر أكثر، والصَّدقة أفضل، والوقف أفضل.

.